

• أئمة علم الحديث النبوي في بلاد ما وراء النهر

عبد المجيد الشوادفي

الإسلام له الأثر العظيم في بعث الهمم ودفع الطاقات، وقد قيض الله سبحانه لخدمة السنة النبوية رجالاً في كل جيل وزمان ينفون عنها التحريف والتأويل، وتوضيحًا لحياة هؤلاء الأئمة جاءت الدراسة التاريخية التي احتواها كتاب أئمة علم الحديث النبوي في بلاد ما وراء النهر لمؤلفه الدكتور رمضان متولي، وتحدث فيه عن أئمة علم الحديث من أهل السنة دون سواهم وأئمته من الشعوب الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، وما كان لهم من جهود عظيمة في طرق التدوين الفعلي لسيرة النبي ﷺ وتناول الموقع والتضاريس والماضي والحاضر لهذه البلاد، واستعرض مواطن المحدثين للسنة النبوية في هذه المدن والتي شملت سمرقند وبخارى وترمذ بجمهورية أوزبكستان وسجستان ونيسابور وقزوين ونسا وبيهق بجمهورية إيران ومدينة بست في أفغانستان وأصبحت هذه البلاد بفضل إيمان

أهلها بالله وقرآنه وسنة نبيه ﷺ مراكز ومنارات مضيئة للحضارة الإسلامية حتى صح فيهم ما رواه أبو هريرة في قولته كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فلما قرأ عليه السلام قول الله تعالى: ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾ قال أحد الصحابة: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى كرر سؤاله، فقال رسول الله وفينا سلمان الفارسي ووضع يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من هؤلاء.

وتحدث الدكتور رمضان متولي في دراسته التاريخية عن الفتح الإسلامي لبلاد فارس ذات المذاهب المتعددة واختلطت بالعرب وتأثرت بالدعوة الإسلامية، واستوعب الفرس مبادئ الدين الجديد الذي يدعو إلى المساواة، كما قال سبحانه: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (الحجرات: ١٣)، وتناول المؤلف التعريف بعلم الحديث وقواعده وأصوله وفروعه ومصطلحه وقضية التدوين للسنة.

وقد تفاوت موقف الصحابة رضوان الله عليهم بين القلة والكثرة في التحديث عن رسول الله ﷺ، وتتفق أغلب الروايات التاريخية على أن أول من فكر في جمع وتدوين السنة من التابعين هو عمر بن عبد العزيز، ويعتبر القرن الثالث الهجري أجل عصور الحديث في التدوين والتقريب، وفيه ظهر كبار المحدثين والكتب الخمسة وهي الصحيحان للبخاري ومسلم، والسنن لأبي داود والنسائي والترمذي واعتمدها المحدثون وعول عليها المستنبطون وحظيت بخدمة العلماء في جميع العصور.

وفي الباب الأخير من كتابه يقول الدكتور رمضان متولي أن مدارس الحديث في بلاد ما وراء النهر تبوأت منزلة سامية حتى إن الكثير من طلاب هذا العلم يقصدونها من مصر والحجاز والعراق والشام للنهل من منابعها الفياضة. واستعرض جوانب من سير أئمة الحديث وهم الدارمي السمرقندي والبخاري والترمذي وأبو

داود والسجستاني وأبو مسلم النيسابوري وابن ماجه القزويني وأحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي، وتصدر هؤلاء الأئمة العشرة الكرام الحركة العلمية، وكان علم الحديث على رأس الموضوعات والدراسات التي حملوا عبأها ومسئوليتها مع مئات من تلاميذهم ومريديهم وأدى ذلك إلى توجه قلوب ملايين المسلمين إلى السنة المطهرة.

* * *